آخر من يدخل الجنّة

إعداد الدكتور

إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان

١٤٤٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين , والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء , والمرسلين ، نبينا محمد , وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:
فهذه قصّة آخر رجل من الموحّدين يدخل الجنّة , لعلّنا نسْتنْبط منها الفوائد، ونلْتمِس منها الفرائد. ولعلّ نفوسنا تشتاقُ إلى الجنّة , فتشمّر عن ساعد الجدّ لبلوغها بإذن الله .
وخطة الكتاب : أذكر الحديث ثم الفوائد منه ,وكل فائدة أكتبها أذكر مصدرها الذي أخذتها منه في الحاشية من المكتبة الشاملة ,أو غيرها , وقد أعدّل في العبارة قليلا , أو أضيف , ومالم أذكر مصدره فهو من استنباطي , ولم استوعب جميع فوائد الحديث . وقد يكون للحديث عدة روايات, فلم استقص بذكر أرقام الروايات الأخرى .وإنما اكتفيت بماذكرت .
هذا والله أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن ينفع به كاتبه وقارئه , وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد .

المؤلف
د. إبراهيم بن فهد بن إبراهيم الودعان
Ebrahim .F .W@Gmail.com
الموقع التجريبي
/http://eb-alwadaan.site123.me

قصّة آخر رجل يدخل الجنّة

عن ابن مسعود ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : {آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهُوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جاوزَها اِلْتفتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: " تَبَارك الذِي نَجَّاني مِنكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا ما أَعطاه أَحَدًا مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ "، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: " أَيْ رَبِّ ! أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ، لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا "، فَيَقُولُ اللهُ – عَزَّ وَجَلَّ –: "يا ابْنَ آدَمَ ! لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا"، فَيَقُولُ: "لا يا رَبِّ " وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا _ وَرَبُّهُ يَعْذُرُهُ لأَنَّهُ يرى مَا لا صَبْر له عليه _ فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مائها، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هي أَحْسَنُ مِنَ الأُولَى، فَيَقُولُ : " أَيْ رَبِّ ! أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا "، فَيَقُولُ : "يا ابْنَ آدَمَ ! أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا، تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا "، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا _ وَرَبُّهُ يَعْذُرُهُ لأَنَّهُ يَرَى مَا لا صبر لَه عليه _ فَيُدْنِيهِ منها، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا. ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عند باب الجنة، هي أَحْسَنُ مِنَ الأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ : " أَيْ رَبِّ ! أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ، لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا "، فَيَقُولُ : " يا ابْنَ آدَمَ ! أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ "، قال: "بَلَى يارَبِّ،هَذِهِ لا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا" _ وَرَبُّهُ يَعْذُرُهُ لأَنَّهُ يَرَى مَا لا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ _ فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا، فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ : " أَيْ رَبِّ ! أَدْخِلْنِيهَا"، فَيَقُولُ : "يا ابْنَ آدَمَ ! مَا يُصْرِينِي مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا، وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قالَ : "يا رَبِّ ! أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ العَالمِينَ؟" فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: "أَلا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا:" مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ:"هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَالُوا : "مِمَّ تَضْحَكُ يا رَسُولَ اللهِ؟ " قال : "مِنْ ضَحِكِ رَبِّ العَالمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ منِّي وأَنت رَبُّ العَالمِينَ؟ " فيقول : "إِنِّي لا أَستهزِئُ منكَ، ولكِنِّي على مَا أَشَاء قَادِر}.(١)

(١) صحيح مسلم ١٧٤/١ رقم ١٨٧ واللفظ له.صحيح البخاري ١١٧/٨ رقم ٦٥٧١ .

من فوائد القصّة

١- هذا الحديث في ذكر نجاة هذا الرجل من النار، فيجوز أن يكون قد نُجّي منها بعد الوقوع فيها، ويجوز أن يكون قد نجا منها فلم يدخلها.

٢- أنه آخر أهل الجنة دخولًا إليها، فإنه قد يخرج قوم فيدخلون الجنة، فإذا كان هذا آخر أهل الجنة دخولًا إليها ؛فإنه يكون آخر أولئك.

٣- أراد الرسول الله ﷺ أن يُعرّف العباد كرم ربهم سبحانه وتعالى، وأنه ليس كمن عرفوه من ملوك الدنيا، فإن الواحد منهم إذا عاقب أحدًا استوحش منه ،ولم يأمن بعد ذلك إليه فلا يقربه .

٤- يدل الحديث أن الله سبحانه وتعالى من صفاته الرحمة .

٥- أنه إذا عاقب بعدله الحد الذي انتهى إليه علمه، وكان ذلك جزاء لمن خالف أمره ؛عطف عليه سبحانه العطف الذي يدنيه إلى الخير، ويقربه منه منزلة بعد منزلة، وأنه كلما رأى شيئًا لا صبر له عنده عذره سبحانه وتعالى في إخلاف الوعد حتى يدخله الجنة، ويضعف له العطاء ويضحك منه سبحانه رضي عنه.

٦- فإن قيل كيف قال: أعطاني ما لم يعط أحدًا من الأولين، وهو يعلم أن خلقًا قد سبقوه إلى الجنة وأنهم أفضل منه؟

فالجواب من وجهين: أحدهما: أنه لما تفكر في ذنوبه فرأى أنه يستحق الخلود في النار ، ولم ير ما يوجب التخلص منها، شكر مجرد الكرم الذي ليس بجزاء عن عمل، ورأى أن كل من جوزي فعلى قدر عمله.والثاني: أن يكون قوله عائدًا إلى من في النار من المعذبين. (٢)

(٢) من ١-٦ مستفاد من الإفصاح عن معاني الصحاح لابن هبيرة ٩٧/٢ ومابعدها .

٧- قوله : (رجل يخرج من النار حبوا)وفي الرواية الأخرى:زحفا[٣] قال أهل اللغة: الحبو المشي على اليدين والرجلين ،وربما قالوا: على اليدين والركبتين ،وربما قالوا: على يديه ومقعدته وأما الزحف فقال ابن دريد وغيره:هو المشي على الإست مع إفراشه بصدره ؛ فحصل من هذا أن الحبو ،والزحف متماثلان ،أو متقاربان ولو ثبت اختلافهما حمل على أنه في حال يزحف ،وفي حال يحبو .

٨- قوله (أتسخر بي ،أو أتضحك بي وأنت الملك) هذا شك من الراوي هل قال: أتسخر بي ،أو قال: أتضحك بي في نفس الأمر، أتضحك بي فمعناه أتسخر بي ؛لأن الساخر في العادة يضحك ممن يسخر به.

٩- إثبات الشفاعة .

١٠- إخراج كل موحّد من النار .

١١- جواز الضحك وأنه ليس بمكروه في بعض المواطن، ولا بمسقط للمروءة ؛إذا لم يجاوز به الحد المعتاد .

١٢- قوله ﷺ (آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبو مرة وتسفعه النار مرة) أما يكبو فمعناه يسقط على وجهه . وأمّا تَسْفَعه فمعناه : تضرب وجهه , وتُسوّده وتؤثر فيه أثرا .[٤]

١٣- قوله عز وجل : "يا بن آدم مايَصْرِينى منك " والمعنى أي: شيء يرضيك, ويقطع السؤال بيني وبينك . وحسن أن يقال: ما يفصل بيني وبينك، أي: ما الذي يرضيك حتى تترك مناشدتك، والمعنى أنى أجبتك إلى مسألتك كرة بعد أخرى ،وأخذت ميثاقك أن لا تعود ولا تسأل غيره وأنت لا تفي بذلك، فما الذي يفصل بيني وبينك في هذه القضية ؟

---

(٣) صحيح مسلم ١٧٤/١ رقم ٣٠٩ .

(٤) من ٧-١٢ مستفاد من شرح النووي على صحيح مسلم ٣٩/٣ ومابعدها .

١٤- فضل الله ورحمته وكرمه وبره بعباده ،حتى إنه يخاطبهم مخاطبة المستعطف الباعث سائله على الاستزادة.

١٥- قوله: (أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟): وارد من القائل على سبيل الفرح والاستبشار. قال القاضي عياض: هذا الكلام صادر عنه وهو غير ضابط لما قال من السرور ببلوغ ما لم يخطر بباله، فلم يضبط لسانه دهشة وفرحًا، وجرى على عادته في الدنيا في مخاطبة المخلوق، ونحوه حديث التوبة قول الرجل عند وجدان زاده مع راحلته من شدة الفرح: (أنت عبدي وأنا ربك). (٥)

١٦- ضحك رسول الله ﷺ كما ضحك ربه سبحانه وتعالى , وهو أيضا استعجاب وسرور منه ﷺ بما رأى من رحمة الله , ولطفه على عبده المذنب ، وضحك ابن مسعود رضي الله عنه فكان اقتداء برسول الله ﷺ . (٦)

١٧- - قوله : " : تبارك " أي: تعظّم وتعالى , أو تكاثر خيره .

١٨- قوله: (لقد أعطاني الله شيئا ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين) : جواب قسم محذوف، أقسم من الفرح أن نجاته نعمة ما ظفر بها أحد من العالمين، ولعل وجهه أنه ما رأى أحدا مشاركا له في خروجه من النار، ولم يدر أن الأبرار في نعيم دار القرار .

١٩- (فيقول: أي رب) أي في الأصل لنداء القريب، ويا: للبعيد، ففيه دليل على قرب الرب من العبد .

٢٠- قوله : (فيدنيه منها، فإذا أدناه منها سمع أصوات أهل الجنة) أي: في مصاحبتهم مع أزواجهم، ومجاوزتهم مع أصحابهم ; فأراد الاستئناس بهم، أو في غنائهم ؛ فأراد التقرب ليتلذذ بأنغامهم ، والتمتع برؤيتهم . (٧)

---

(٥) صحيح مسلم ٢١٠٤/٤ رقم ٢٧٤٧ .
(٦) من ١٣- ١٦ مستفاد من شرح الطيبي على مشكاة المصابيح ٣٥٣٥/١١ ومابعدها .
(٧) من ١٧-٢٠ مستفاد من مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح للقاري ٣٥٥٧/٨ ومابعدها.

٢١- جواز مخاطبة الشخص بما لا يُدرك حقيقته , والتعبير عن ذلك بما يفْهمه .

٢٢- أمور الآخرة لا تُشبه مافي الدنيا إلاّ في الأسماء .

٢٣- الاستدلال على العلم الضروري , بالنظري .

٢٤- لا يرتاح المؤمن حتى يستقرّ في الجنّة .[٨]

٢٥- عبدالله بن مسعود من علماء الصحابة .

٢٦- فضيلة العلم وشرفه .

٢٧- نشر العلم .

٢٨- قال الشيخ ابن عثيمين: "فإن قال قائل: عبارة ترد كثيراً عند الناس (إن الله على ما يشاء قدير) هل هذا جائز؟ قلنا: لا يجوز إلا مقيّداً، لأنك إذا قلت: (إنه على ما يشاء قدير) أوهَمَ أن ما لا يشاء لا يقدر عليه، وهو قادر على الذي يشاء والذي لا يشاء . لكن إذا قيّدت المشيئة بشيء معيّن صح، كقوله تعالى: (وهو على جمعهم إذا يشاء قدير) [٩]أي: إذا يشاء جمعهم فهو قادر عليه.وكذلك في قصة الرجل الذي أدخله الله الجنة آخر ما كان، فقال الله له: (إني على ما أشاء قادر)، لأنه يتعلق بفعل معين ".[١٠]

٢٩- وقال الشيخ صالح آل الشيخ : " في بعض الأحاديث جاء (والله على ما يشاء قادر) و(إني على ما أشاء قادر) وهذا الجواب عنه معروف بأنه متعلق بأشياء مخصوصة، وليست تعليقا للقدرة بالمشيئة، أو أن يقال قدرته على ما يشاء لا تنفي قدرته على ما لم يشأ عز وجل .[١١]

٣٠- الجَنَّةُ هي دارُ النَّعيمِ المقيمِ الذي أعدَّه اللهُ لعِبادِه المتَّقينَ المؤمِنينَ .

٣١- بيان عظمة الله ورحمته ،وجزيل عطائه لعبده .

---

(٨) من ٢٢١-٢٤ مستفاد من فتح المنعم شرح صحيح مسلم ٦٢٣/١ ومابعدها .
(٩) الشرح الممتع على زاد المستقنع للشيخ محمد بن عثيمين ٣٢٢/٥ .
(١٠) سورة الشورى آية ٢٩ .
(١١) إتحاف السائل بما في الطحاوية من مسائل ١١/٤ .

٣٢- إخبار من النبي ﷺ، وتصوير لحال الرجل قبل أن يقبل على الله سبحانه .

٣٣- شدّة فرح المؤمن بفضل الله وكرمه .

٣٤- بيّن النبي ﷺ أن الرجل لم يكتف بنعمة نجاته من النار، بل صار يطمع في كرم الله وفضله عليه.

٣٥- سمع الرجل أصوات أهل الجنة، في مؤانستهم مع أزواجهم، أو في محاورتهم مع أصحابهم، فأراد الاستئناس بهم، والتقرب منهم ليلتذّ بنعيمهم .

٣٦- الضحك من الله تعالى ومن رسوله وإن كانا متفقين في اللفظ، فإنهما متباينان في المعنى؛ فإن صفات الله لا تشابه صفات المخلوقين، فهو ضحك يليق بكماله وجلاله سبحانه وتعالى .

٣٧- بيان لعظم نعيم أهل الجنة في الآخرة مقارنة بأهل الدنيا؛ إذ أقلهم نعيما له مثلي نعيم أهل الدنيا.

٣٨- ترغيب للناس في نعيم الجنة حتى يزدادوا عملا. (١٢)

٣٩- فيه ما طبع عليه الآدمي من قوة الطمع ،وجودة الحيلة في تحصيل المطلوب ؛فطلب أولا أن يبعد من النار ليحصل له نسبة لطيفة بأهل الجنة ، ثم طلب الدنو من شجرة بعد شجرة إلى أن طلب الدخول.

٤٠- يؤخذ منه أن صفات الآدمي التي شرف بها على الحيوان تعود له كلها بعد بعثته كالفكر والعقل وغيرهما. (١٣)

٤١- فضل الدعاء ،وقوة الرجاء في إجابة الدعوة. (١٤)

٤٢- هذه القصة هي وعدٌ حقٌ وصادق ، وواقع لا محالة يوم القيامة .

---

(١٢) من ٣١-٣٨ مستفاد من موقع الدرر السنية .
(١٣) من ٣٩-٤٠ مستفاد من فتح الباري ٤٦٣/١١ .
(١٤) فتح الباري ٤٦٢/١١ .

٤٣- ضرب الأمثال ، وقصّ القصص للعظة والاعتبار ، والتحفيز للعمل ، والاستعداد للآخرة .

٤٤- عدم التهاون بالذنوب والمعاصي .

٤٥- شدّة النار وخطورة الوقوع فيها ، والاحتراز من النار .

٤٦- يدل قوله:(آخر من يدخل الجنة رجل) أنّ آخر أهل الجنة دخولا إليها رجل ، وليس امرأة .

٤٧- قوله:(وتسفعه مرة) يدل على أنه كان يمشي ، وكان قريبا منها .

٤٨- هذا الرجل لا زال في حركة ، فهو يمشي ، ويلتفت ، ويكبو ، وتسفعه النار ، فوضعه لا يدعو للوقوف ، بل يستدعي الحركة المستمرة حتى يبتعد مما يخافه ، ويخشاه .

٤٩- قوله:(التفت إليها) يعني حرّك رأسه إلى اليمين ،أو إلى اليسار، وقد يكون وقف والتفت بجسمه كله .

٥٠- قوله:(جاوزها) بمعنى أنه ترك النار خلفه ، ونجا منها ، وابتعد عنها بلا رجعة .

٥١- من الأدب الثناء والشكر على صاحب النعمة، وأول من يُثنى عليه هو الله سبحانه .

٥٢- حسن الظن بالله .

٥٣- هذه قصّة آخر رجل من الموحّدين يدخل الجنّة .

٥٤- أهميّة التوحيد .

٥٥- الاستهزاء بالآخرين صفة ذميمة . ولذلك نفى الله سبحانه هذه الصفة ، ونزّه ذاته عنها .

٥٦- جواز الفرح .

٥٧- قوله:(لقد أعطاني الله) عطاء الله ليس له حدود ، ولا مِنّة فيه .

٥٨- قوله:(فرفع له شجرة .. لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا) يدل على أنّ هذه الشجرة ، وهذا النهر من الماء ، إنما هو خارج الجنة ، وهو من النعيم ، ولكأنه من نعيم آخر .

٥٩- قوله:(أي رب) هنا بدأ الحوار المباشر بين هذا الرجل وبين ربه سبحانه .

٦٠- هذا الرجل محظوظ ، فقد كتب الله له بفضله حياةً جديدة .

٦١- قوله:(ويعاهده ألا يسأله غيره) على الإنسان أن يحافظ على العهد والميثاق ، الذي بينه وبين غيره .

٦٢- تفاوت النعيم في الآخرة .

٦٣- قال هذا الرجل:(تبارك الله الذي نجاني) ولم يقل: الحمد لله ، في نظري أن كلمة تبارك ، مِن تَفَاعَل ، وفيها حركة وتفاعل ، فهو لا زال في حركة وتفاعل مع مايدور حوله ،فهذه اللفظة تتناسب مع حال الحركة ، والفعل الذي يعيشه الرجل في تلك الأجواء .

٦٤- قوله:(فترفع له شجرة) الذي رفع له هذه الشجرة ، هم الملائكة ، لأنهم هم الذين يُنفّذون أوامر الله .

٦٥- يتنوع النعيم في الجنة ، أشجار ، وظل ، وأنهار وغير ذلك من النعيم المقيم .

٦٦- الله عز وجل خاطب الرجل ، وناداه بأصل خلقته إلى آدم ، مع علمه سبحانه باسمه .

٦٧- مبدأ السؤال في الحوار .

٦٨- الرجل خاطب الله سبحانه بالربوبية .

٦٩- لا يستغني المسلم عن سؤال ربه ، وطلب حاجته منه سبحانه.

٧٠- قوله:(لا صبر له عليه) فيه إشارة إلى مقام الصبر .

٧١- هذا الرجل أخذ يسأل ربه أربع مرات ، وربه سبحانه يتلطف به ، ويسمع له ، ويجيبه ، ويعذره ، ويحقق أمانيه وأكثر .

٧٢- أهل الجنة لهم أصوات ، وتُسمع من خارج الجنة .

٧٣- على المسلم ألا ييأس من رحمة الله.

٧٤- قوله:(أدخلنيها) يدل على أن للجنة أبوابا يدخل منها أهلها .

٧٥- قوله:(أيرضيك أن أعطيك الدنيا ،ومثلها معها) يدل على أن الدنيا لا تساوي عند الله شيئا .

٧٦- قوله:(أيرضيك أن أعطيك الدنيا ،ومثلها معها) هذا مقام أدنى أهل الجنة منزلا ، وحاشاهم أن يكون فيهم دنيء، فكيف بمن هو في منزلة عالية من الجنة ؟!

٧٧- جرأة هذا الرجل ، حيث إنه أطال النَّفَس في الحوار مع الله.

٧٨- همّة هذا الرجل ، فلم يقنع بالقليل، بل لا زال يطلب ، ويتمنى، حتى أعطاه الله شيئا لم يكن ليتصوّره .

٧٩- النبي ﷺ لما أخبر بهذا الحديث ، فإنه ليس من تلقاء نفسه ﷺ ، وإنما هو من الغيب الذي أطلعه الله عليه ، فأخبر بهذا أمّته .

٨٠- جواز نقض العهد بما هو أفضل ،كأنه من باب: "من حلف على يمين فرأى غيرها خيرا منها" .(١٥)

٨١- ذكر في هذا الحديث آخر من يدخل الجنة، وفي المقابل أول من يدخل الجنة هو محمد ﷺ . عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: " آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك ".(١٦)

---

(١٥) فتح الباري لابن حجر ٤٦١/١١ .اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح لشمس الدين البِرْماوي ٧٩/١٦ .
(١٦) صحيح مسلم ١٨٨/١ رقم ٣٣٣ .